الحائر بين مختبرات الجامعة وحركة الواقع الاجتماعي

النقد الأكاديمي ترف معرفي أم ضرورة ثقافية

● د. نعيم اليافي: ردم الهوة بين المجتمع والجامعة يتطلب إعادة اللحمة بين المقررات الجامعية وبين المجتمع.

■ دمشق: «الكفاح العربي»

في الوقت الذي يكثر الحديث عن دور النقد الأكاديمي الجاد في إغناء وتطوير الحركة الثقافية بفعاليتها المختلفة، وتتعالى أصوات المبدعين، مستنجدة بالنقد الفعّال المؤسس على قواعد علمية ومعرفية واضحة، نرى هذا النقد يتراجع، وتتقلص مساحات وجوده، حتى أصبح ترفا معرفيا لا يفيد المجتمع ولا يخاطب سوى شريحة الخاصة من النخبة.

□ ما هو دور المؤسسة العلمية - الجامعية في رعاية البحوث النقدية؟

□ ما هي أسباب القطيعة بين النقد الأكاديمي والنقد السائد؟

□ أين هي قناة التوصيل المثلى للمادة النقدية اليوم: هل هي في الصحافة اليومية أم المتخصصة، في وسائل الاعلام المرئية والمسموعة أم في الكتاب؟

أسئلة طرحناها على ٣ أساتذة جامعيين يمارسون النقد الأكاديمي في وسائل الاعلام، ويعملون أيضا على تأهيل الكوادر النقدية في المؤسسات الجامعية للوقوف على واقع العلاقة بين النقد الأكاديمي والنقد السائد في الساحة الثقافية في سوريا.

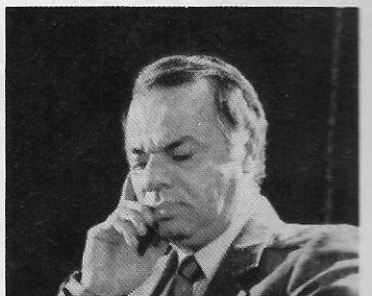

د. نعيم اليافي:

ربط الجامعة بالمجتمع

د. نعيم اليافي صاحب الدراسات النقدية المعروفة في مختلف المجالات الأدبية المتخصصة الذي أصدر أكثر من ١٥ كتابا في النقد الأدبي ومواضيع أخرى، يقول ردا على سؤالنا الأول حول دور المؤسسة الجامعية في رعاية البحوث النقدية، إنطلاقا من تجربته في كلية الآداب بجامعة دمشق:

□ أعتقد أن للمؤسسة الجامعية دورا هاما وكبيرا في أمرين:

- أولهما: إعداد الدارس إعدادا معرفيا جيدا وأقصد بالإعداد المعرفي، الإعداد الأكاديمي البحثي والنقدي معا.

- ثانيهما: تهيئة الجو المناسب لحرية البحث، ونقده وتشريح جميع النصوص وإعادة النظر في المعرفة وإنتاجها من جديد.

وكلا الأمرين لا يتم إلا في جو من حرية البحث وتعددية طرائق التناول ووجهات النظر، وفي مناخ من الامكانات المادية المتاحة المكتبية والبحثية حتى يستطيع الدارس أن يجد كل شيء أمامه ميسرا. في ظل الظروف الحاضرة ونتيجة لعدد من الأسباب الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، يجد الدارس نفسه لا يتنفس في هواء صحي يساعده على ما ينشده من إعداد للنقد وإعادة النظر في إنتاج المعرفة. أقول مرة أخرى على الجامعة كمؤسسة رائدة، أن يكون لها دور طليعي في إعداد الدارس وتهيئة الجو. وعليها أن تتيح المناخ المناسب، وتخلق الباحث والناقد الجادين، اللذين يمكن لهما أن يكونا رائدين وقدوتين في مجالهما. وهذا الامر ينطبق على جميع أقسام اللغات والآداب والصحافة والمكتبات. إني أشعر من خلال تدريسي للأجناس الأدبية والنقد في جامعة دمشق بوجود هوة كبيرة بين المؤسسة التعليمية وبين المجتمع، ولا بد لردم هذه الهوة من إعادة اللحمة بين المقررات الجامعية، وبين حركة الواقع، وما يحتاج إليه هذا الواقع من سبر ونقد وإمعان نظر. ويجب ألا يعني هذا انني أدعو إلى ربط المؤسسة التعليمية بالسياسة؛ فهذا الربط أرفضه كل الرفض، إنما أدعو إلى ربط الجامعة بالمجتمع وحركة الواقع في هذا المجتمع.

وعن العلاقة بين الأكاديمي والنقد السائد والقطيعة بينهما يقول د. نعيم اليافي:

□ هنالك في الجذور عداوة مفتعلة بين النقد الأكاديمي والنقد السائد أو النقد الاعلامي. وأقول مفتعلة لأنها نتيجة للجو غير الصحي المفروض من خارج العملية النقدية. يزعم النقد الأكاديمي، وهذه وجهة نظره - قد يكون محقا أو غير محق - أنه لا يستطيع مواكبة الإبداع، فيظل عمله قائما على نصوص مضت، يحاول أن يقومها وأن يعيد النظر في مقوماتها. وهذا العمل عندي أقرب إلى الدرس الأكاديمي منه إلى التحليل النقدي، وهو يسد من هذا الجانب زاوية هامة. أما النقد الاعلامي، فهو أكثر مواكبة ولهاثا وراء ما يجد على الساحة؛ لكنه نظرا لطبيعة الملاحقة اليومية للإنتاج، وعدم الإعداد الكافي للناقد الاعلامي، وطبيعة المقاربة الاعلامية للنصوص الابداعية.. كل ذلك يجعل للنقد الاعلامي وظيفة ومهمة وطبيعة ودورا يختلف إلى هذا الحد أو ذاك عن طبيعة النقد الأكاديمي. وإذا أضفنا إلى ذلك الاعتداد الفارغ من كلا الطرفين، أحدهما بمركزه الجامعي وثانيهما بمركزه الاجتماعي، أدركنا مدى الهوة التي وصل إليها النقدان. في ظل الظروف الصحية المنشودة لا بد من إعادة اللحمة بين هذين النمطين من النقد، فكل منهما يكمل الآخر.

النقد الاعلامي ضروري لأنه يواكب الظاهرة ويعرض لها وهي ساخنة والنقد الأكاديمي يؤصل الظاهرة ويجذرها، ويدخلها ضمن مخبره النقدي حتى تصبح جزءا من تاريخية الظاهرة.

أما القناة المثلى لتوصيل الظاهرة النقدية في ظل الظروف التي أشرنا إليها، فنجدها خارج الإطار الجامعي، وخارج الإطار الاعلامي.. إنها توجد في ذلك الحيز الضيّق ولكن المتميز، الذي تصنعه مجموعة من النقاد الأدباء والدارسين الذين قد ينتسبون إلى المجالين السابقين وقد لا ينتسبون، ولكنهم يقدمون أعمالهم ضمن رؤى مغايرة، وضمن إطار لا تضغط عليه متطلبات الطباعة العجلى، ولا تأسره القيود الأكاديمية، لأنه ينطلق وفق جهود فردية خاصة، تعمل جاهدة على تكريس نوع من النقد النظيف الذي يواكب الظاهرة الإبداعية، يحللها ويركبها ويحاول أن يوجد لها معاييرها الخاصة. وهذا الحيّز الضيق في إنتاجه المحدود هو - عندي - القناة الوحيدة التي تشير إلى استمرارية الظاهرة النقدية وفاعليتها، وتأسيسها أيضا. وما يقدم في هذا النطاق قليل بالنسبة للنطاقين الآخرين، ولكنه أهم منهما، والأمثلة على ذلك يمكن تبينها من خلال الكتب الصادرة عن النقد في الأطر الثلاثة المشار إليها.

د. عبد النبي اصطيف:

سوء تكيّف

الدكتور عبد النبي اصطيف الأستاذ الجامعي والناقد الأدبي المعروف يرى أن الحديث عن دور المؤسسة الجامعية في رعاية البحوث النقدية لا بد أن يقودنا للحديث عن واقع هذه المؤسسة بداية. يقول:

□ النقد الأدبي أساسا هو إنشاء اجتماعي، بمعنى أنه يمارس في المؤسسات الاجتماعية المختلفة، والمؤسسة الجامعية هي واحدة من هذه المؤسسات. الآن عندما ننظر في واقع هذه المؤسسة ربما لا نكون راضين كل الرضى عن دورها الذي نطمح إلى أن تقوم به فعلا في تطوير البحوث النقدية؛ لو نظرنا في هذا الواقع لوجدنا أن الجامعة تُدرِّس النقد على مستوى الدرجة الجامعية الأولى، والطلاب يقومون في كثير من الأحايين بكتابة بحوث نقدية بإشراف أساتذة هذه المرحلة. الأعداد الكبيرة أحيانا، لا تفسح في المجال الكافي للقيام بالإشراف اللائق والمجدي على هذه البحوث، وبالتالي تكون حصيلتها دون المستوى المطلوب؛ لكن لا شك أن هذه الرعاية تشكل الأرضية التي ينطلق منها كثير من الطلاب عندما يتخرجون، في نشاطاتهم المختلفة، والتي يمارسون في أثنائها النقد في المؤسسات غير الجامعية.

الآن إذا تركنا الدرجة الجامعية الأولى، نجد أن هناك مرحلة الدراسات العليا.. هناك في الدبلوم حلقات بحث معينة بالنقد، ويتم الاشراف عليها على

نحو أفضل بكثير: العدد أقل، الكفاءة لدى منفذي البحث أو الباحث أرفع وأعلى مستوى. بعد ذلك تأتينا الرسائل في مرحلتي الماجستير والدكتوراه؛ هنا طبعا يكون الاشراف على مدى أوسع، ويكون التدريب والتأهيل في مستوى التفاصيل الدقيقة، ويحاول المشرف أن يدرب الباحث من درجة الصفر إلى درجة المئة، وبعد أن ينجز عمله وتُجاز رسالته ويحصل على الدكتوراه، معنى ذلك أنه تأهل بوصفه باحثا.

كثير من البحوث التي تقوم المؤسسة الجامعية بالاشراف عليها لا تأخذ طريقها إلى النشر؛ وبالتالي لا تقوم بدورها الحقيقي في المشهد الثقافي والمشهد النقدي... ماذا تفيد المؤسسات غير الجامعية من الجامعة إذن وكيف؟

تفيد من خلال ممارسة أساتذة الجامعة للنقد في المؤسسات غير الجامعية. وتفيد من خلال تأهيل المشتغلين بالنقد لممارسة دورهم في المؤسسات المختلفة، سواء أكان ذلك من خلال حملة الدرجة الجامعية الأولى، أو من خلال طلاب الدبلوم والماجستير والدكتوراه. وهؤلاء عندما يمارسون النقد، يمارسونه منطلقين من تدريبهم الذي تم في الجامعة، لكن ممارسة النقد ضمن المؤسسة الجامعية، تختلف إلى حد بعيد عن ممارسة النقد خارج الجامعة.

وعن أسباب القطيعة بين النقد الأكاديمي والنقد السائد يقول الدكتور عبد النبي اصطيف:

□ هناك مسألة سوء تكيّف. النقد السائد أين يسود وما الذي جعله سائدا؟، إنه سائد خارج الجامعة: في الاذاعة، والتلفزيون، والصحافة اليومية والصحافة الأسبوعية والشهرية وفي الدوريات المختلفة، والمحاضرات، والندوات، والمؤتمرات، وفي باقي النشاطات التي يمارس النقد عادة خلالها. سوء التكيّف ينبع أساسا من عدم تفهم ممارس النقد طبيعة المؤسسة التي يمارس من خلالها النقد، وعدم تفهم المؤسسة أن هناك ثوابت للنقد ينبغي المحافظة عليها. فمثلا في الاذاعة يفترض أن تكون المادة النقدية المقدمة مهيأة لاستقبال واسع من قبل الجماهير، لكن من الذي يستمع إلى الاذاعة؟! أنت لا تستطيع أن تحدد متلقيك، وبالتالي يختلط الأمر على المعدين.

كثير من البرامج لا تتم بناء على دراسة وافية للمتلقي، وبالتالي تجد نفسك أمام معايير مضطربة ومتفاوتة ومختلفة، وفي الغالب شخصية. وفي النهاية تقول لنفسك: ما جدوى هذه الممارسة وتنسحب بالتدريج إلى عالمك الأكاديمي.

على صعيد آخر، كثير من الممارسات النقدية التي تقوم في المؤسسات غير الجامعية لا تبنى على أساس معرفي. الاستهلاك الآني والتغطية هما غير الممارسة النقدية التي تبحث في كل شيء عن الافضل؛ فالإعلان عن كتاب شيء، لكن الحديث عنه حديثا نقديا شافيا في برنامج إذاعي أو تلفزيوني حتى يذهب المستمع أو المشاهد ويقرأه شيء آخر.

تغطية ندوة بطريقة علمية، تختلف تمام الاختلاف عن تغطيتها لمجرد الاشارة فقط، أو لتعبئة نصف ساعة من البث الاذاعي أو التلفزيوني. هذه الامور ندرسها تمام الدراسة، لكن معظم القائمين على بعض النشاطات في المؤسسات غير الجامعية، ربما لم يتح لهم التأهيل الكافي ليكونوا عونا على ممارسة الدور اللائق بالنقد، لأن النقد في البلدان المتقدمة يلعب دورا حساسا وفعالا وله سلطته، لأنه يمارس ضمن مناخه السليم المعافى، لكنه عندنا للأسف لا يمارس بشكل صحي.

وحول القناة المثلى لتوصيل المادة النقدية اليوم. يقول الدكتور اصطيف:

□ يبدو لي أن لكل دوره. فالصحافة اليومية، ينبغي أن تقدم لك مراجعات سريعة لكتب يقوم بها متخصصون، حتى تستطيع أن تنتقي بين هذه الكتب ما تجد أنه يصلح لتنفق عليه مالك ووقتك وجهدك أيضا ووضع القارىء في صورة ما يجري من ممارسات ثقافية وأدبية ونقدية.. هذا شيء مهم، ويمكن أن تلعب فيه الاذاعة والتلفزيون والصحافة اليومية دورا كبيرا.

والصحافة الأسبوعية، يمكن أن تساهم وتقوم بدور الحافز على إثارة القضايا، والحديث والكتابة عنها. عندما تفكر المؤسسة، تفكر دائما في المتلقي، في المخاطب... فالمجلة المتخصصة لها قارىء متخصص والمجلة الدورية العامة لها قارىء عام أيضا. الدورية الأدبية لها قارئها الذي يعنى بالأدب أكثر من عنايته بالأمور الاخرى. الكتاب طبعا لا غنى عنه. وهناك مسألة مهمة جدا في حياتنا الثقافية، نحن استغنينا بالتلفزيون والاذاعة والصحيفة اليومية وأحيانا الاسبوعية والمجلات، عن الكتب.. وهذا غير ممكن. الثقافة لا تُستقى إلا من الكتب، لأن المادة التي تنشر في الكتب (وأنا هنا أتحدث عن المجتمعات التي تُعنى بسلامة النشر الأدبي فيها) هي المادة التي تكون مؤهلة أكثر من غيرها للبقاء. طبعا الدوريات المتخصصة مهمة جدا، لكن انتشارها ربما كان أقل مما ينبغي، ويبدو لي أن الانسان عندما يود أن يبني «ثقافة» جديرة بهذا الاسم، عليه أن يؤسس لنفسه قاعدة ثقافية ينطلق منها، وفي ممارسته لأي عمل كتابي سواء أكان هذا الرجل مبدعا أو صحفيا.. أو ناقدا.. أو دارسا.. كائنا من كان، ينبغي أن يؤسس هذه القاعدة على العودة إلى الكتب. الكتاب هو المصدر الأساسي، وكل ما عداه ينبغي أن يكون حافزا على العودة إليه، وليس على الاستغناء عنه كما يحدث في مجتمعاتنا.

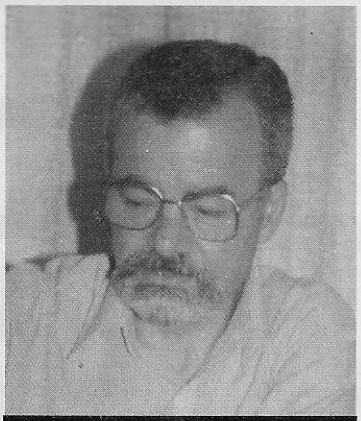

د. نبيل الحفّار:
السبب اقتصادي بحت

الدكتور نبيل الحفّار الناقد المسرحي، ورئيس قسم النقد والأدب المسرحي في المعهد العالي للفنون المسرحية بدمشق، يتحدث هنا عن دور هذه المؤسسة الاخيرة في رعاية البحوث النقدية.. يقول:

□ في هذا القسم – ومنذ تأسيسه – يجب على كل طالب، أن يقدم دراسة موسعة في مقرر موضوع خاص في المسرح؛ وهذه الدراسة تماثل من حيث منهجيتها العملية، رسائل التخرج التي تقدم في الجامعات للحصول على درجة الاجازة الأكاديمية، هذا إن لم تتفوق عليها في بعض الحالات. وفي مجلس القسم، وضعنا خطوطا عريضة لطبيعة الرسائل، التي سيقدمها الطلبة بما يفي بمهمات متعددة، أولها وأهمها تغطية تاريخ المسرح السوري توثيقا ونقدا، وثانيها المسرح العربي، وثالثها تناول مجموعة من القضايا المسرحية الهامة، التي لم يسبق للنقد أن تطرق إليها ومنها: ظواهر الفرجة، والظواهر شبه المسرحية التي يمكن الاستفادة منها مسرحيا... وهذه الرسالة تعطى ٣ أمثال علامة أي مقرر آخر من مقررات الدراسة نظرا لأهميتها، ويشرف عليها أستاذ مختص، يواكب عملية الكتابة من الألف إلى الياء، ثم تشكل لجنة لتقويم الرسالة في حضور صاحبها، الذي يدافع عن طروحاته أمام اللجنة.

وللدكتور نبيل حفّار، رأي مختلف في القطيعة بين النقد الأكاديمي والنقد السائد:

□ أكاد أقول أن السبب الرئيسي هو اقتصادي بحت. فمجلاتنا المتخصصة في سوريا لا تدفع عن البحوث النقدية الأكاديمية ، ما يكافىء الجهد المبذول في كتابتها؛ ولهذا نجد عددا كبيرا من نقادنا ينشر في المجلات الخليجية، بالاضافة إلى أن مجلات «المعرفة» و«الموقف الأدبي» وغيرها من حيث حجمها لا تستوعب الدراسات النقدية الكبيرة، ولهذا نجد أن بعض نقادنا يجمعون كتاباتهم النقدية ويصدرونها في شكل كتاب إما داخل سوريا أو خارجها. أما في ما يتعلق بالمجلات المختصة الصادرة عن وزارة الثقافة، كالحيوات المسرحية والسينمائية والتشكيلية والموسيقية، فإن الدراسات النقدية فيها، يكتبها اختصاصيون في هذه المجالات سواء من السوريين أو العرب. هذا إلى جانب الدراسات النقدية المترجمة والتي تتمتع بأهمية خاصة نظرا لمستواها العلمي المتطور، والمفتقد إلى حد ما على الساحة العربية. أما ما ينشر أحيانا في الصحف تحت عنوان «نقد» فهو يصدر أحيانا عن اختصاصيين، وأحيانا أخرى عن متنطعين للكتابة النقدية، دون تأهيل أكاديمي لذلك. ومن هنا نجد أن هذه الكتابات الاخيرة لا تخرج على حيّز الانطباعات، ولا تتمتع بقيمة نقدية.

وفي ما يتعلق بالقناة الأولى لتوصيل المادة النقدية يقول حفّار:

إن المادة الاختصاصية التي يمكن أن تنشر في إحدى مجلات وزارة الثقافة الاختصاصية طريقها المنطقي هو هذه المجلات، وهذا عائد بطبيعة الحال إلى قناعة صاحب الدراسة. أما على صعيد الواقع فالواضح أن الكتاب المؤلف حول موضوع نقدي محدد، أو المكوّن من مجموعة مقالات في الميدان نفسه، هو القناة الأمثل، لأن الاحتفاظ به، سواء في المكتبة العامة أم في المكتبة الخاصة كمرجع، أسهل بما لا يقاس من الاحتفاظ بالمجلات

الحاضر الغائب

رغم التباين النسبي بين وجهات النظر الثلاث هناك شبه إجماع، أو تأكيد على وجود نوع من سوء التكيف في ما يتعلق بوضع النقد الأكاديمي ثقافيا واجتماعيا. فهو في الاساس ينشأ في مختبرات مؤسسات تعليمية (جامعية) تعاني إشكالات عدة ليس أقلها ضعف الارتباط بحركة الواقع كما عبر عنه أحد المشاركين في التحقيق. وربما أسوأها إيمان الباحث أو الدارس بلا جدوى عمله ودراسته في ظل محدودية فرص العمل التي تنتظر الباحث الجامعي، وهو ما يقودنا إلى الناحية الاخرى في الموضوع، ألا وهي حجم وجود أو انتشار النقد الأكاديمي. فثمة شكوى دائمة من غياب مثل هذا النقد. هو مُفتقد في غيابه، لكنه متهم بالنخبوية والتعالي على المتلقي في حضوره؛ فضلا عن وجود تلك الصيغة الإلغائية بين النقد الأكاديمي والأشكال الاخرى للنقد بوظائفها الاجتماعية والثقافية الهامة، التي تتكامل مع وظيفة النقد الأكاديمي ولا تلغيها. من هنا يحتاج الامر إلى إعادة نظر في واقع المؤسسة الجامعية، وإرساء تقاليد ثقافية تتيح للنقد الأكاديمي ممارسة حضوره الاجتماعي الفاعل والنزول من أبراجه العاجية، التي يحاول أدعياء الكتابة «النقدية» تحنيطه فيها.

● د. عبد النبي اصطيف: على الجامعة القيام بدور ما لتجعل الباحث مهيأ لممارسة دوره في المجتمع.

● د. نبيل الحفّار: مجلاتنا المتخصصة لا تدفع عن البحوث النقدية ما يكافىء الجهد المبذول.

تحقيق: محمد منصور
تصوير: محمود عباس